مجلة كان التاريخية

مجلة سنوية محكمة تصدر عن مركز الوثائق والدراسات الإنسانية

- النظام الإقليمي لدول مجلس التعاون الخليجي : دراسة جيوبوليتيكية

  د.فهد عبد الرحمن آل ثاني

- المدينة والبيئة : المدينة الخليجية مثالاً.

  أ.د. أحمد عبد الله أحمد بابكر

- الفكر السياسي عند الشيخ محمد الغزالي .

  د. أحمد البرصان

- صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي .

  د. سلامة عبد الله السويدي

العدد الثالث عشر - السنة الثالثة عشر

الدوحة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الأعراف القبلية وأثرها في الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة

الدكتور سالم أحمد محل
استاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلية التربية ارحب - جامعة صنعاء

مقدمـــة :

تعتبر القبيلة الوحدة الأساسية التي انبنى عليها النظام الاجتماعي والسياسي عند العرب في العصر الجاهلي .

وقد قامت رابطة الانتماء فيها على أساس النسب بمعنى أن أفراد القبيلة جماعة من الناس ينتمون أو ينحدرون من جد أعلى ، وبذلك أصبحت تجمعهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة .

إن هذا الشعور بين أفراد القبيلة ، وأعني به شعور الارتباط بالمجموع عن طريق رابطة الدم جعل القبيلة وحدة واحدة في مقابل الآخرين . أو بعبارة أخرى في مقابل قبيلة أو قبائل أخرى .

وبالنظر لطبيعة البيئة العربية وشحة مواردها وخاصة مناطق الصحاري منها ، وقلة مصادر الرزق فيها لذلك فقد كثرت الحروب بين القبائل وشنت القبائل الأقوى الغارات على القبائل الأضعف للحصول على الغنائم أو الاستيلاء على موارد الماء والكلأ . وهذا ما جعل الحاجة ماسة إلى العصبية بين أبناء القبيلة لمواجهة الأخطار المحدقة بها من قبل قبيلة أقوى ، وهذا ما جعل القبيلة قبل الإسلام تمثل الوعاء الذي يضم جميع أبناء

القبيلة ، كما جعل عملية عيش الفرد خارج هذا الوعاء عملية صعبة محفوفة بالمخاطر التي تجعل دمه وماله في متناول الآخرين من أصحاب العصبيات الأخرى دونما شعور بالخطر ، ولهذا أصبح الفرد الذي يخلع من قبيلته لا يستطيع الاستقلال بشخصه أو بأسرته وإنما عليه الدخول في موالاة قبيلة أخرى وهذا ما يسمى " بالحليف " أو " المولى" فيأمن عندئذ على نفسه وماله ويصبح جزءا من القبيلة التي والاها له ما لدى فرد فيها من الصرحاء وعليه ما عليه .

وهكذا أصبحت القبيلة ، بعصبيتها لأفرادها ، المظلة التي يستظل بها الفرد ويحتمي بها من الأخطار المحيطة به والتي تتمثل بالقوى القبلية الأخرى .

وقد أفرزت الحياة العربية للمجتمع العربي قبل الإسلام ، وما ترتب عليها وعلى البيئة الطبيعية من شحة بالموارد أعرافاً كانت بمثابة ملاجئ يلتجئ إليها المستضعفون بالأقوياء ، فأعطت هؤلاء فرصة بإمكانية العيش وسط هذه البيئة التي لا تعرف إلا القوة والتي لا يعيش فيها إلا الأقوياء . فكان الحلف ثم كان الجوار ، بالإضافة إلى العصبية القبلية ذاتها ، فمنحت هذه الأعراف الثلاثة الحياة أحياناً لأولئك الذين اضطروا أحياناً للعيش خارج قبائلهم ، أو لقبيلة ضعيفة احتاجت لمحالفة قبيلة قوية لمواجهة أعدائها الأقوياء .

وفي هذا البحث حاولنا تتبع أثر هذه الأعراف ، العصبيلة القبلية ، الحلف ، والجوار على الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة سلباً أو إيجاباً ، رغم أن هذه الأعراف هي من إفرازات الجاهلية . ومع ذلك فقد كان لها بعض النفع والفائدة للرسول ﷺ ولدعوته . فأوجدت له الحماية التي تطلبتها الدعوة وخاصة في بداية التبشير بها .

وقبل البدء بالحديث عن هذه الأعراف علينا استنطاق معاجم العربية لنرى ما هي المدلولات والمعاني في اللغة العربية لهذه الأعراف وأولها :

العصبية القبلية :

والعصبية عند أهل اللغة هي المحاماة والمدافعة وتعصبنا له ومعه نصرناه - وعصبة الرجل قومه الذين يتعصبون له . . [١] .

وعَصَبَة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه والعصبة الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد [٢] .

والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين أو مظلومين [٣] .

وفي الحديث : العصبي من يعين قومه على الظلم ، والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم [٤] .

والعصبة والعصابة : جماعة ما بين العشرة والأربعين قال تعالى على لسان أخوة يوسف عليه السلام ﴿ ونحن عصبة ﴾ [٥] .

والتعصب بمعنى التجمع . يقول الأزهري : وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا [٦] . وعَصَبُ القوم خيارهم عند ابن منظور ، وعصبوا به اجتمعوا له . . [٧] .

ومن خلال هذا العرض اللغوي لمعنى العصبية يبدو لنا تركيزها على النصرة والمحاماة والمدافعة بين أفراد العصبة الواحدة وهي تقوم على النسب وصلة الرحم . ولذلك يقرر ابن خلدون : « إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه . وذلك لأن صلة الرحم طبيعي بين البشر إلا في الأقل . ومن صلتها النُعْرَةُ على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة . . » [٨] .

إذن هذه هي العصبية : نصرة الأهل والعشيرة ظالمين كانوا أو مظلومين . وكان هذا المعنى هو السائد في العصر الجاهلي كما كان هذا المعنى هو أساس النظام القبلي الذي كان سائداً في المجتمع العربي . وخاصة عند البدو [٩] . على أن هذا النظام كان

قائماً أيضاً في الحواضر العربية ، كمكة المكرمة ، ويثرب ، والطائف ، وربما بدرجة أقل في حواضر اليمن أو لدى المناذرة والغساسنة .

كانت العصبية ملائمة للحياة العربية قبل الإسلام ، كما كانت ضرورية للقبيلة العربية وذلك لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا إذا كانت ذات عصبية ونسب . وعندئذ تشتد شوكتها ويُتقى خطرها[١٠] .

وعلى هذا فإذا كانت القبيلة هي الوحدة التي انبنى عليها كل نظام العرب الاجتماعي والسياسي قبل الإسلام[١١] ، فإن العصبية كانت الوعاء الذي انتظم كل أفراد القبيلة فحافظ على كيانها وأمدها بالقوة اللازمة لتحقيق فرص حياتها وسط بيئة لا تعرف إلا القوة .

كانت القبائل في نزاع دائم وكانت دوافع هذا النزاع موجودة دائماً وتتمثل في الاستحواذ على مواطن الماء والكلأ أو الأخذ بالثأر . ونظراً لفقر البيئة الصحراوية بالمياه والمراعي فقد أصبحت الحروب والغزوات من أكثر سمات هذه البيئة . وقد سميت تلك الحروب في تاريخ العرب في عصر الجاهلية باسم الأيام[١٢] .

ورغم أن العصبية القبلية بإفرازاتها المدمرة كانت علماً على سكان البوادي قبل الإسلام فلقد كان لها حضور واضح في الحواضر العربية كمكة ويثرب والطائف . فرغم أن مكة قد سكنتها قبيلة واحدة هي قريش فقد انتظمت العصبية القبلية بطون قريش : بنو عبد مناف ، وبنو تيم ، وبنو عدي ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عبد الدار ، وأصبحت المواقف التي تتخذ ضد فرد من أحد أفراد هذه البطون لابد أن يراعى فيها الفخذ الذي ينتمي إليه وقوة هذا الفخذ .

كذلك فإن العصبية القبلية كانت وراء عدة حروب بين الأوس والخزرج ، سكان يثرب كان آخرها يوم بعاث سنة ٦٠٥م أي قبل البعثة النبوية بخمس سنين .

والذي أردنا توكيده هنا هو أن العصبية القبلية كانت الأساس الاجتماعي

والسياسي للحياة العربية قبل الإسلام .

فما هي آثار هذه العصبية على الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة ؟ وإلى أي حد كانت نافعة ومفيدة للدعوة الإسلامية ؟ كذلك هل كانت لها آثاراً سلبية على هذه الدعوة ؟ هذا ما سوف نسلط الضوء عليه في هذا البحث إن شاء الله .

الأثر الايجابي للعصبية القبلية على الدعوة الإسلامية :

ينتمي الرسول الأعظم ﷺ إلى بني هاشم ، وهم أحد أفخاذ بني عبد مناف الأربعة بني هاشم ، وبني عبد شمس وبني المطلب وبني نوفل . وهذا البطن ، بني عبد مناف ، من البطون القوية في قريش . وفي هذا البطن الرفادة والسقاية في بني هاشم وكان العقاب في بني أمية ، والعقابُ هو حمل اللواء القومي في الحرب[١٣] .

وبهذا فإن النبي ﷺ كان محاطاً بعصبية قوية في قريش . وكان مجرد التفكير بايذائه يعني وضع بني عبد مناف في موضع العداء الذي ينطوي على أضرار كبيرة قد لا يستطيع تحملها أي بطن من بطون قريش بمفرده . إضافة إلى الأضرار الذي يحدثها على مكانة قريش لدى قبائل العرب باعتبارها سادنة عاصمتهم الدينية . وعندما صدع الرسول ﷺ بأمر ربه يبلغ الدعوة ويدعو قومه لذلك ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[١٤] و ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾[١٥] . وبادى قومه بالإسلام لم يبعد عنه قومه ولم يقاوموه حتى بدأ يعيب آلهتهم ، ويذكر آباءهم الذين ماتوا بأنهم كانوا كافرين. فأجمعوا عندئذ على خلافه وعداوته إلا فئة قليلة مستخفية وهي التي عصمها الله بالإسلام[١٦] .

الرسول الأعظم ﷺ في منعة أبي طالب وحمايته :

بعد أن أعلنت قريش عن معارضتها للدعوة الإسلامية وعداوتها لصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام وخلافها له حَدِبَ أبو طالب ، عم الرسول ﷺ ، يمنعه من قريش أن

تمسه بسوء . وهذا ما مكن الرسول ﷺ أن يمضي على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده شيء[١٧] .

وكان لأبي طالب مكانة مرموقة في قريش لحلمه وحكمته ، فعندما مشى زعماء قريش إلى أبي طالب لكف ابن أخيه عن شتم آلهتهم وعيب معتقد آبائهم ، وصفوا أبا طالب بقولهم : « إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . . »[١٨] وهذا ما جعل لحماية أبي طالب ومنعه لابن أخيه محمد ﷺ قيمة وفاعلية تجنبت قريش تجاهلها أو خرقها .

شكلت قريش وفداً لمقابلة أبي طالب لمفاوضته في منع ابن أخيه من دعوته أو أن يترك محمداً ﷺ لهم . لقد سفه الرسول ﷺ أحلامهم وضلل آبائهم ، وسب آلهتهم فهم لا يمكن أن يسكتوا على هذا الوضع . غير أن أبا طالب ردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه[١٩] .

بدأت قريش بإيذاء المسلمين من المستضعفين والتعرض لهم بألوان من النكال والآلام وذلك بعد التشاور والتفكر من قبل زعمائها لمواجهة الدعوة الإسلامية . وكان إيذاء عامة المسلمين أحياناً يجري من قبل قبائلهم وأفخاذهم كما كان تعذيب المستضعفين من الموالي والعبيد سهلاً ، أما إيذاء الرسول ﷺ فكان أمراً ليس بالسهل لأنه كان في منعة عمه أبي طالب .

غير أن زعماء قريش نفذ صبرهم وهم يرون محمداً ﷺ يدعو بدعوته مهدداً زعامتهم الدينية والسياسية فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . وفي هذه المرة علت نبرة التهديد حديثهم مع أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . . . ثم انصرفوا عنه[٢٠] .

اجتمع أبو طالب بالرسول الأعظم ﷺ وتحدث معه قائلاً يا ابن أخي هؤلاء مشيخة

قومك وسرواتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك . فأجابه الرسول ﷺ بأنه يريد منهم كلمة يمتلكون بها العرب وتدين لهم بها العجم . فقال أبو جهل : نقولها فما هي ؟ قال : تقول : لا إله إلا الله . قال فنفروا وتفرقوا . وقالوا سلنا غير هذا فغضبوا وقاموا من عنده غضابى وقالوا والله لنشتمنك وآلهك الذي يأمرك بهذا ونزل القرآن يخبر عن موقفهم هذا . قال تعالى : ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾[٢١] .

وفي موقف الملأ المكي الوثني هذا نلاحظ شيئين : الأول جهلهم بطبيعة الإسلام فاعتقدوه عقيدة طقسية تقوم على الإيمان بالله سبحانه ويبقى هذا الإيمان إرثاً شخصياً للإنسان المؤمن . في حين أن الإسلام عقيدة توحيد وإيمان يتفجر عنها سيل من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فهو عقيدة وشريعة حياة شاملة .

والثاني : تهديد الرسول ﷺ بشتم إلهه دون القتل وهذا ما يعتبر أخف الضررين ، وهذا بطبيعة الحال بسبب المنعة والحماية والأسناد الذي قدمه ويقدمه أبو طالب له .

لقد كان في موقف هذا الوفد الذي مشى إلى أبي طالب ما ينم عن التفكير وربما التخطيط لإيذاء الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب الشيخ المسن العجوز . فقالوا قبل ذهابهم إلى أبي طالب : « فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب . يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه »[٢٢] .

ويروى أن أبا طالب امتعض من لهجة التهديد والوعيد التي تحدث بها وجهاء مكة معه وعظم عليه ذلك . فتكلم مع الرسول ﷺ راجياً منه أن لا يحمله ما لا يطيق . فظن الرسول ﷺ أن عمه خاذله ، وأنه ضعف عن نصرته . ثم أقسم أنهم لو وضعوا الشمس بيمينه والقمر بشماله ما ترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك دونه وبكى وخرج . فتأثر أبو طالب وناداه قائلاً : « أقبل يا ابن أخي فأقبل رسول الله ﷺ . فقال أذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً »[٢٣] .

ولما رأت قريش مضي رسول الله ﷺ في دعوته علمت أن أبا طالب قد أبى خذلانه، وأنه مجمع على مفارقتهم وعداوتهم في سبيل محمد ﷺ لذلك جاءوا أبا طالب باقتراح جديد وهو أن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة فيتخذه ولداً ويسلمهم محمداً ﷺ فيقتلونه[٢٤] . وهذا تطور خطير في العلاقة بين الرسول ﷺ وبين وجهاء الوثنية المكية فهم قد أعلنوا صراحة عن النية في قتله مقابل إعطاء أبي طالب عمارة بن الوليد . وهذا تأكيد على أن فكرة قتل الرسول الأعظم ﷺ وتصفيته لم تكن غائبة عن مخططاتهم ، ولكن وجود أبي طالب كان يحول دون ذلك ، لذلك فكروا بمساومة أبي طالب بأن يعطوه عمارة ويسلمهم محمداً ﷺ فيقتلونه .

أبدى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف مساندته لهذا الاقتراح ، واعتبر قريش منصفة غير أن أبا طالب رفض هذا الاقتراح وقال للمطعم والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك (باعتبار المطعم من عصبية أبي طالب فهو من الفخذ الثالث من بني عبد مناف) كما رد على زعماء قريش قائلاً « تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأطعمه وأعطيكم ابني تقتلونه ؟[٢٥] » .

عندئذ انحاز بنو هاشم جميعاً إلى أبي طالب يدعمونه ويساندونه في توفير الحماية للرسول ﷺ عدا أبي لهب ، وهو العم الآخر للرسول ﷺ فقد وقف في صف قريش المعارضين للدعوة الإسلامية . كما انحاز إلى بني هاشم في هذا الموقف بني المطلب وهم الفخذ الثاني من بني عبد مناف[٢٦] .

لقد تواثق بنو هاشم وبنو المطلب كلهم (عدا أبي لهب) مسلمهم وكافرهم على حياطة الرسول الأعظم ﷺ ومنعه وحمايته وعدم تسليمه لقريش ، الأمر الذي سبب لقريش الحيرة والتردد من اتخاذ مواقف حازمة تجاه صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام ، لأنهم يدركون خطورة قتلهم لمحمد ﷺ وما يجره عليهم من مخاطر جدية قد يسيل لها وادي مكة دماء من الجانبين .

لذلك فقد اختارت قريش طريقاً آخر لا يقل ظلماً وقسوة على هذين الحيين من بني

عبد مناف (بني هاشم وبني المطلب) وهذا الطريق هو المقاطعة التي فرضتها على بني هاشم وبني المطلب[٢٧] .

الصحيفة :

اجتمع المشركون واستقر رأيهم على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب الذين تضامنوا مع بني هاشم في منع الرسول ﷺ وعدم تسليمه لقريش .

يقول ابن اسحاق اجتمع مشايخ قريش من المعارضين للدعوة الإسلامية في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب : « أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ »[٢٨] .

ويتبين من هذا الدور الإيجابي العصبية القبلية في حماية الرسول ﷺ ومنعه . فماذا كان سيحدث لو تخلى بنو هاشم وبنو المطلب عنه وتركوه لوحده يواجه قريشاً وعنجهيتها وقسوتها وحقد ملئها وأشياخها ؟

من المؤكد أن موقف النبي ﷺ سيكون صعباً جداً في هذه المواجهة . وهكذا فقد حمى الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بعصبية ذويه من بني هاشم وبني المطلب كذلك فقد حمى الله الأنبياء السابقين بعصبيات ذويهم كي يتمكنوا من تبليغ دعواتهم إلى الناس فها هم قوم شعيب يفصحون عن هذه العصبية التي يحتمي بها شعيب عليه السلام . يقول تعالى نقلاً عن لسان قوم شعيب : ﴿ ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾[٢٩] .

كذلك كان للعصبية أثر مهم في نقض الصحيفة ، صحيفة المقاطعة ، التي تواثقت بطون قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب فيها .

فكان حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد يحمل القمح لعمته خديجة رضي الله عنها

زوج الرسول ﷺ وهي محاصرة معه في شعب أبي طالب . وقد لقيه مرة أبو جهل وهو يحمل الطعام لعمته فحاول منعه فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فقال لأبي جهل مالك وله حيث رآهما يتشاجران قال أبو جهل : يحمل الطعام إلى بني هاشم. فقال له أبو البختري طعام لعمته عنده بعثت إليه فيه أتمنعه أن يأتيها بطعامها خلّ سبيل الرجل . ولكن أبا جهل رفض حتى نال أحدهما من الآخر فما كان من أبي البختري حتى ضرب أبا جهل بلحى بعير فشجه ووطأه وطئاً شديداً[٣٠] .

وهكذا انتصرت العصبية على الرابطة الوثنية في هذا الموقف .

كذلك فقد كان هشام بن عمرو بن الحارث العامري من عامر بن لؤي بن كعب يأتي بالبعير وقد أوقره طعاماً ليلاً ويستقبل الشعب فيذهب إلى المحاصرين فينتفعون بما أتى من طعام . وكان هشام هذا ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فتحركت فيه العصبية لأعمامه فكان يبعث لهم بالطعام سراً[٣١] .

وهشام هذا هو الذي مشى بنقض الصحيفة إلى زهير بن أمية بن المغيرة المخزومي عصبية لأعمامه فجاء زهير وقال له : أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت ؟ (وكانت أم زهير هي عاتكة بنت عبد المطلب عمة الرسول الأعظم ﷺ فحرك هشام العصبية في زهير لأخواله . وقال محرضاً زهيراً أحلف بالله لو كان أخوال أبي الحكم بن هشام (أي أبي جهل) ثم دعوته لمثل هذا لما فعل[٣٢] .

وعلى نفس الوتر عزف هشام عندما ذهب إلى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه . ثم ذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي ، ثم ذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابة المحاصرين وحقهم عليهم ثم اجتمعوا وفي اليوم التالي نقضوا الصحيفة التي كانت معلقة بالكعبة والتي لم يجدوا منها سوى « باسمك اللهم » إذ كانت الأرضة قد أكلت كل بنودها . وهكذا نقضت الصحيفة وخرج بنو هاشم وبنو المطلب من شعب أبي طالب عصبية من هشام رغم

اعتراضات أبي جهل[٣٣] .

وهكذا فشل الحصار وانتهت المقاطعة وخرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب دون أن تحقق قريش هدفها في الاستفراد بالرسول ﷺ بعد تخلي بني هاشم وبني المطلب عنه كما اعتقدت خطأ .

لقد أعلن أبو طالب أنه غير مسلّم رسول الله ﷺ لقريش ولا تاركه لشيء أبداً مما يؤذيه حتى يهلك دونه مع عصبته :

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ولما نطاعن دونه ونناضلُ
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائلُ[٣٤]

ثم نجده يعاتب قومه من بني عبد شمس ، وهم البطن الرابع من بطون بني عبد مناف المهم لعدم نصرتهم له في حماية الرسول ﷺ وتخليهم عنه ، وكان عليهم طبقاً للأعراف القبلية أن يقفوا إلى جانبه ويمنعونه فيقول :

وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكنت امرؤاً ممن يعاش برأيه ورحمته فينا ولست بجاهل
مغتبة لا تسمع بنا قول كاشح حسود كذوب مبغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضاً كما مر قيل من عظام المقاول
يفر إلى نجد ويرد مياهه ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ولا معظم عند الأمور الحلائل[٣٥]

ففي هذه الأبيات نجد أبا طالب ينتقد عتبة بن ربيعة باعتباره من بني عبد شمس

ثم من بني عبد مناف كما ينتقد أبا سفيان والذي يغادر إلى نجد ومياهه الباردة مدعياً أنه غير غافل عن نصرة بني هاشم وبني المطلب كذلك فأبو طالب يعتب على المطعم بن عدي بن نوفل على موقفه المؤيد لقريش رغم أنه من بني نوفل - من بني عبد مناف - هؤلاء الزعماء الثلاثة من بني عبد مناف ولكنهم تخلو عن نصرة بني هاشم وبني المطلب في حمايتهم ومنعتهم للرسول الأعظم ﷺ .

لقد كان موقف أبي طالب مسانداً ومؤازراً للرسول ﷺ وقد جمع بني هاشم وبني المطلب حوله لمواجهة غطرسة قريش التي تريد الاستفراد بالرسول ﷺ لغرض تصفيته وإخماد أنفاس دعوته في مهدها .

فهل كان أبو طالب ، في تأييده ومؤازرته للرسول ﷺ مدفوعاً بروح العصبية التي كانت السمة الأساسية للحياة العربية قبل الإسلام أم أن هناك دوافع أخرى قد تكون وراء موقف أبي طالب هذا ؟ هناك اعتقاد عند البعض بأن أبا طالب كان مسلماً . وبالتالي فإن تأييده ومؤازرته للرسول ﷺ تجيء من كونه أحد المؤمنين بهذا الدين ولكنه كان يخفي إسلامه . والروايات التي تأتي من طرق أهل البيت متظافرة على إيمانه ودخوله في الإسلام . فيروي العلامة الطباطبائي رواية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه أبي قحافة يوم فتح مكة إلى رسول الله ﷺ وكان أعمى . فقال له رسول الله ﷺ ألا تركت الشيخ فآتيه ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أردت أن يأجره الله تعالى . والذي بعثك بالحق لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي التمس بذلك قرة عينك . فقال ﷺ صدقت[٣٦] . وهناك ما يشير إلى بقاء أبي طالب على دين قومه وتوفي عليه[٣٧] . على أننا لا نستبعد إسلام أبي طالب .

ونستطيع أن نضيف العاملين التاليين إضافة إلى العصبية في تأييد ومؤازرة أبي طالب للرسول ﷺ .

أولهما : أن أبا طالب كان من وجهاء قريش وزعمائها ، رغم كونه من غير

أصحاب الأموال حتى قيل : اثنين سادا في قريش من غير مال وهما أبو طالب وعتبة بن ربيعة . كما كان أسن رجال بني عبد مناف . ورجل بهذه المكانة لا يمكن أن يترك ابن أخيه يواجه مصيره لوحده مع قريش ، لأن ذلك يعتبر قدحاً في مكانته في قريش ورئاسته في بني عبد مناف .

وثانيهما : أن أبا طالب تولى كفالة الرسول ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب وكان عمره ثماني سنوات آنذاك فعاش في بيته كبقية أولاده مما زاد من تعلق أبي طالب به وبقي في بيته حتى زواجه عليه السلام وعمره خمس وعشرين سنة . وهكذا أصبح الرسول ﷺ بمكانة الابن في نفس أبي طالب إضافة إلى أن شمائل النبي ﷺ في طفولته وشبابه حببته أكثر إلى نفس أبي طالب ولهذا من الصعوبة بمكان أن يرتضي أبو طالب أية إساءة له أو محاولة لايذائه أو قتله[٣٨] .

وهكذا فقد فسرت الآية الكريمة ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾[٣٩] . في رواية سفيان الثوري رضي الله عنه عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى : ﴿ وهم ينهون عنه ... ﴾ نزلت في أبي طالب . كان ينهي الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى . وكذا قال القاسم بن مخيمرة وعطاء بن دينار[٤٠] .

وهناك من يوسع دائرة شمول هذه الآية الكريمة فلا يعتبرها قد نزلت في أبي طالب وحده وإنما نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر . وهذا ما قاله سعيد بن أبي هلال رواية عن ابن أبي حاتم. وقال محمد بن كعب القرظي « وهم ينهون عنه ... » أي ينهون الناس عن قتله وقوله « وينأون عنه ... » أي يتباعدون منه أي من النبي ﷺ[٤١] .

على أنه وإن كان للنبي ﷺ تسعة أعمام فإن كتب التاريخ لا تذكر منهم إلا أربعة عشية دعوة الرسول ﷺ لقومه بالإسلام وهم أبو طالب وحمزة رضي الله عنهما ، والعباس رضي الله عنه وأبو لهب[٤٢] . وفي تفسير القمي أن بني هاشم كانوا ينصرون

رسول الله ﷺ ويمنعون قريشاً ، ولكنهم ينأون ويتباعدون عنه ولا يؤمنون بدعوته[٤٣] .

جاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنه أن ذلك خاص بأبي طالب ينهى الكفار عن إيذاء الرسول ﷺ ويتباعد عن الإيمان بدعوته . فيذكر القرطبي أن الرسول ﷺ خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي فلما انتظم في الصلاة قال أبو جهل من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام عبد الله بن الزبعري فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه رسول الله ﷺ فانفتل النبي ﷺ من صلاته وجاء أبا طالب وقال : « يا عم إلا ترى ما فعل بي ؟ » فقال أبو طالب من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ عبد الله بن الزبعري . فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون فقال أبو طالب والله لئن قام رجل لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم . فقال يا بني من فعل بك هذا ؟ فقال عبد الله بن الزبعري فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ فقال النبي ﷺ يا عم نزلت فيك آية . قال وما هي؟ قال : تمنع قريشاً أن تؤذيني وتأبى أن تؤمن بي فقال أبو طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منك عيونا[٤٤]

لقد كانت العصبية المظلة التي احتمى بظلها أصحاب العصبيات من المسلمين ، في حين كابد العبيد والموالي الأمرين على يد كفار قريش كبلال رضي الله عنه وعمار ابن ياسر ، وأبويه اللذين قتلا على يد مشركي قريش أثناء التعذيب ، وعامر بن فهيرة وعدد من الإماء اللاتي كن يعملن لدى بعض وجهاء مكة فابتاع أبو بكر رضي الله عنه عدداً منهن وكذلك عامر بن فهيرة وبلالاً رضي الله عنه وأعتقهم فأنقذهم من العذاب[٤٥] .

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد دخل في الإسلام ، وهو من ذوي المنعة والشرف أنبّه واخزاه وتوعده بالخسارة في المال والجاه . وإن كان ضعيفاً ليس له عصبية تحميه وتمنعه ضربه وأغرى الآخرين بضربه[٤٦] .

كان ثبات الرسول الأعظم ﷺ على التبشير بدعوته ، جعل زعماء الوثنية القرشية يتراجعون ويتنازلون عن مواقفهم السابقة . فقد كانوا في البداية يمنعون الرسول ﷺ من تبليغ دعوته . ثم تراجعوا فاقترحوا عليه أن يعبدوا آلهه عاماً ويعبد معهم آلهتهم عاماً . ثم الآن يطلبون إليه أن يدعهم وآلهتهم ويدعونه وآلهه . ولكنه يرفض هذا الاقتراح أيضاً وبالتالي فإنه لا مناص لهم من الإسلام ونبذ الوثنية والكفر بها وتحطيم رموزها الممثلة بأصنامها وأوثانها . وأمام هذا الموقف الصلب فقد وجد زعماء قريش أن لا مناص من اغتيال محمد ﷺ .

وفي مساء تلك الليلة التي قابل بها زعماء قريش الرسول ﷺ فقد رسول الله ﷺ . وجاء أبو طالب وأبناء عمومته إلى منزله فلم يجدوه . فجمع أبو طالب فتياناً من بني هاشم وبني المطلب وهذا صدى حقيقي للعصبية القبلية ثم قال ليأخذ كل منكم حديدة صارمة (سيفاً) ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم (أي عظماء وثني قريش) فيهم ابن الحنظلية يعني أبا جهل فإنه لم يغب عن شر إن كان محمد قد قتل . فقال الفتيان نفعل . وجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على هذه الحال . فقال يا زيد أحسست ابن أخي ؟ قال : نعم كنت معه ، ورفض أبو طالب أن يدخل بيته حتى يرى رسول الله ﷺ وأرسل زيداً إلى الرسول ﷺ الذي كان في بيت عند الصفا ومعه أصحابه فأخبره زيد الخبر فجاء رسول الله ﷺ أبا طالب فاطمأن عليه وقال له أدخل بيتك . فدخل بيته رسول الله ﷺ . وفي اليوم التالي أخذ أبو طالب الفتيان ومعهم سلاحهم إلى أندية قريش وأخبرهم ماذا أعد لهم الليلة الماضية لو وجد محمداً ﷺ مقتولاً . وطلب من الفتيان أن يظهروا ما يخفون فأظهروا سلاحهم وانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبي جهل[٤٧] .

إن ما قام به أبو طالب يدلل على جدية موقفه في مساندة الرسول ﷺ وقد تعمد أيضاً إخبار قريش بما كان أعد لهم من الفتيان والسلاح فكان ذلك بمثابة رسالة تحذيرية إلى مشركي قريش بتجنب القيام بأية مغامرة يقدمون عليها في تصفية الرسول ﷺ وقتله .

وفي موقف أبي جهل هذا ما يعبّر عن المخاوف التي يمكن أن يحدثها مقتل الرسول ﷺ فيروى أن أبا جهل قد عاهد الله في إحدى المرات أن يجلس للرسول ﷺ بحجر لا يستطيع حمله ، حتى إذا سجد رسول الله في صلاته فضخ به رأسه الشريف ، ولكن أبا جهل كان متخوفاً من موقف قريش إذ ربما لا تستطيع مقاومة ضغط بني عبد مناف فتضطر إلى تسليم أبي جهل لهم يقتلونه برسول الله ﷺ أو ربما تمنعه قريش فيقول : « .. فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا والله لا نسلمك بشيء أبداً فامض لما تريد »[٤٨] .

لقد كان أبو جهل يدرك تماماً أن مقتل رسول الله ﷺ سيؤدي إلى انجرار بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد مناف إلى إخوتهم بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف ، وذلك طبقاً لتقاليد العصبية القبلية . ولهذا تراه يقول فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم مع العلم بأن بني عبد شمس وبني نوفل لم يتضامنا مع بني هاشم وبني المطلب في منعة الرسول ﷺ .

كانت العصبية قوية في نفوس القوم ، وكانت تعلو على القيم الوثنية التي أدانوا بها عندما يوضعان على المحك .

فها هو رسول الله ﷺ يدخل المسجد الحرام يوماً والمشركون عند الكعبة . فلما رآه أبو جهل قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف . قال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منا نبي أو ملك[٤٩] .

وهكذا بدا وكأن عتبة بن ربيعة مسروراً بكون محمد ﷺ من بني عبد مناف وهو

نبي رغم وثنية عتبة التي يلتقي فيها مع أبي جهل .

لقد كانت العصبية أحد الأسباب التي حالت دون إسلام أبي جهل . فها هو يقول عندما سئل عن رأيه فيما سمع من محمد ﷺ وكان ثالث ثلاثة يتسمعون القرآن عن النبي ﷺ على انفراد ودون معرفة أحدهم بالآخر . فقال : ماذا سمعت ؟ : « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا . حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسِ رهان قالوا : لنا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه »[٥٠] .

وفاة أبي طالب :

مرض أبو طالب مرضه الأخير الذي لم يمهله إلا أياماً فوافته المنية في رجب سنة عشرة من بعثة المصطفى ﷺ[٥١] .

وبوفاة هذا الشيخ العظيم فقد الرسول ﷺ أكبر مناصر ومساند وحام له ومانع . فلقد كان لشخصيته وحلمه وكلمته النافذة في القوم أثرها في توفير الدعم والإسناد والحماية للرسول ﷺ حيث تمكن من جمع بني هاشم وبني المطلب على تأييده في حماية الرسول ﷺ والذب عنه .

لقد اجترأت قريش على الرسول الأعظم ﷺ بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهموا به مرة بعد أخرى ، وكاشفوه بالنكال والأذى . حتى أنه ﷺ قال : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٥٢] .

ويشتد أذى قريش للرسول ﷺ وللمسلمين فيذهب الرسول ﷺ إلى الطائف علّه يجد فيها من يحميه ويمنعه فيستطيع التبشير بدعوته بعد ما صمّت قريش آذانها عن الهتاف بهذه الدعوة العظيمة ، ومحاولة بنفس الوقت أن تسد المنافذ والمآرب التي يمكن أن تتسرب منها هذه الدعوة إلى الآخرين .

وفي الطائف وُجه الرسول ﷺ بالصدود والرفض ، بل والتحريض والإغراء بسفهاء ثقيف وصبيانها على ضرب الرسول ﷺ حتى أدموا قدميه الشريفتين فيلتجئ إلى حائط بستان كان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من بني عبد مناف فتتحرك فيهما صلة الرحم أو إن شئت فهي العصبية فيبعثان إليه بعنقود عنب بيد مولاهما عداس[٥٣] . وهما على ما هما عليه من الوثنية والإعراض عن الدعوة الإسلامية .

لم يكن الدين إذن ليحول دون العصبية القبلية . فقد كانت هذه عميقة الجذور في المجتمع العربي . ففي بيعة العقبة الثانية ، يحضر العباس رضي الله عنه ، وهو عم الرسول ﷺ اللقاء الذي تم بين وفد أهل يثرب الذين دخلوا الإسلام والرسول الأعظم ﷺ والذين جاءوا ليبايعوا رسول الله ﷺ على الهجرة إلى يثرب . فهو أي العباس رغم كونه كان على دين قومه « إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . ثم جلس وخاطب الوفد قائلاً يا معشر الخزرج ... إن محمداً منا حيث قد علمتم . وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن دعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده »[٥٤] .

وإذا كان رسول الله ﷺ محمياً برعاية الله سبحانه وتعالى ومحفوظاً من أعدائه بها ، فإن حضور العباس رضي الله عنه وتحدثه بما تحدث قد قوى من موقف الرسول ﷺ في نفوس أعضاء الوفد . فقد حملهم مسئولية حمايته ومنعه ، وهو ما سيكون الموقف مختلفاً فيما لو حضر الرسول ﷺ لوحده ليبايعوه . وهو فريداً طريداً . أما الآن فقد صار عليهم أن يفكروا بقوم الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب ثم عموم بني عبد مناف وربما بعض بطون قريش في حالة خذلانهم له أو تعرضه للاغتيال أو القتل أو الأذى .

كانت العصبية تتحرك دائماً مرة قوية لا يقف أمام عنفوانها شيء ، ومرة لينة غير

شديدة ولكنها تعبّر عن نفسها ربما بالقول دون الفعل مرة وبالفعل مرة أخرى إذا تطلب الأمر . فقبيل معركة بدر وقف عتبة بن ربيعة ، وهو من بني عبد مناف ، مخاطباً قريش بأن لمحمد ﷺ آل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فأن يكن صادقاً فأنتم أعلى عيناً به وأن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره(٥٥) .

وإذا كان ما عرضنا هو الوجه الحسن للعصبية القبلية والتي حمت ومنعت الرسول الأعظم ﷺ ويسرت له إلى حد ما قيامه بتبليغ الدعوة دون التعرض لخطر الاغتيال أو القتل إلا في آخر مرحلة من مراحل الدعوة في العهد المكي الذي سبق هجرته ﷺ إلى المدينة بيوم واحد .

فإن هنالك وجهاً كالحاً للعصبية سخر أحياناً في مواجهة صاحب الدعوة عليه أفضل الصلاة والسلام من أجل تصفيته ، أو أن هذه العصبية بهذا الوجه الكالح كانت ترفع رأسها أحياناً بعد تكون المجتمع المسلم والحكومة المسلمة في المدينة ، فتهدد بنسف جميع الإنجازات التي حققها الرسول ﷺ في خلق مجتمع مدني حضاري يحتكم في أموره جميعاً إلى قانون وشريعة منزلة من السماء ويطرح جانباً العصبية وتفاخرها بالآباء والأجداد . وسوف نستعرض بعض النماذج التي حفظها لنا أهل السيرة وهم يستعرضون سيرته في دعوته وأمته عليه السلام .

فبعد إبرام الاتفاق الذي عقده رسول الله ﷺ مع أهل يثرب المسلمين في بيعة العقبة الثانية ، وتعهدهم له بحمايته ومنعه ، بدأ المسلمون بالهجرة إلى يثرب لإيجاد وطن جديد للدعوة لعلهم يستطيعون منه خلع أنياب الوثنية العربية وأظفارها ثم الإجهاز عليها وتحطيمها وبذلك ترتفع راية العقيدة التي يحملونها فوق كافة أنحاء جزيرة العرب ، ثم تتجاوزها إلى ما يليها من البلاد المجاورة . وقد كان هذا هو الهدف الاستراتيجي لصاحب الدعوة عليه السلام من الهجرة إلى يثرب وقد سبق أن عرض نفسه على القبائل لإيجاد القاعدة البديلة للدعوة غير مكة فوُوجه بالإعراض ثم ذهب إلى الطائف فكان أهلها أشد إعراضاً عن الدعوة من أهل مكة .

لقد هاجر عدد من المسلمين الذين سبقوا الرسول ﷺ وربما زاد عددهم على الأربعين ولم يبق في مكة إلا الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن حجزه المشركون عن الهجرة إذ أن قريشاً تنبهت إلى هذا الخطر فمنعت المسلمين من مغادرة مكة مهاجرين إلى يثرب(٥٦) .

إن الهجرة إلى يثرب إذن لم تكن الفرار من الأذى والاضطهاد الذي تمارسه الوثنية القرشية على من أسلم فهي تختلف عن الهجرة إلى الحبشة التي جاءت تخلصاً من اضطهاد قريش لمن أسلم منها . الهجرة إلى يثرب إيجاد قاعدة جديدة للدعوة ، وحشد الإمكانيات اللازمة لاجتياح مراكز الوثنية واجتثاث أصنامها وطواغيتها وعلى رأس هذه المراكز مكة المكرمة العاصمة الدينية لوثنية العرب .

لم تسمح قريش بالهجرة وأدركت أبعادها على أمنها وسلامتها ووثنيتها لذا شددت الرقابة على المسلمين الباقين في مكة وأولهم صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

وقبل قراره ﷺ بالهجرة إلى يثرب بيوم واحد أي يوم الخميس الموافق ٢٦ صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ أيلول سنة ٦٢٢م اجتمع وجهاء الوثنية القرشية في دار الندوة لمناقشة وبحث أنجح الوسائل لدفع الخطر الذي أخذ يشكله الرسول ﷺ على شركهم ووثنيتهم وزعاماتهم بعد أن وجد له أنصاراً وأعواناً مخلصين في يثرب القاعدة الجديدة التي توفرت فيها منذ أول مسلم صدح بدعوة الإسلام فيها بالحرية التي منعتها مكة على المسلمين(٥٧) .

وقد حضر هذا الاجتماع : أبو جهل بن هشام ، وجبير بن مطعم ، وطعيمة بن عدي، والحارث بن عامر ، وشيبة وعتبة أبنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، وزمعه بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وبنيه ومنبه أبنا الحجاج ، وأمية بن خلف .

ويلاحظ أن هذا الاجتماع مثل البطون القرشية التي لم يتخلف عنها سوى بني تيم

(رهط أبي بكر رضي الله عنه) وبني عدي (رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه) .

بدأ المجتمعون بمناقشة سلسلة من المقترحات التي تخص التعامل مع الرسول ﷺ من بينها إخراجه من بين أظهرهم ونفيه ، أو حبسه ومنع الناس من الاتصال به ، غير أن هذين الاقتراحين رفضا في حين قبل الاقتراح الذي اقترحه أبو جهل وهو : أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جليداً ثم يعطون كل فتى سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلوه فيستريحون منه ، ثم أن دمه سيتفرق في القبائل ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منهم بالعقل (الدية) فعقلناه لهم[٥٨] .

لقد كانت نقطة الارتكاز في هذا الاقتراح كيف يتمكن المشركون من قتل الرسول ﷺ دون أن يهب بنو عبد مناف ، وهم البطن القوي في قريش ، لأخذ الثأر من قتلته ؟ وهكذا فالعصبية حاضرة وينبغي مراعاتها وعدم تجاهلها وتجاوزها إن قتل محمد ﷺ سيواجه بالقوة من قبل بني عبد مناف ضد قتلته وسيثأرون له ويقتلون من قتله وقد يجر ذلك على مكة حرباً أهلية تنجر إليها بطون وأفخاذ إلى هذا الفريق أو ذاك . وهذا مما يخشاه زعماء قريش .

غير أن هذا الاقتراح : قام على عصبية عامة أقوى من عصبية بني عبد مناف . عصبية تكاد تكون قد ضمت قريش جميعها في مواجهة بني عبد مناف . ولذلك ففي حالة قتل الرسول ﷺ من قبل هؤلاء الشبان الذين ينتمون إلى معظم البطون القرشية سيجعل كل هذه البطون متورطة في قتله عليه السلام . وعندئذ لا يمكن أن يقوم بنو عبد مناف بتحدي قريش جميعها لقتل قتلة محمد ﷺ فيرضون عندئذ بالدية دون القتال والثأر . وبذلك يتخلص المشركون من الرسول ﷺ ودعوته . وربما يكون قد ساعد على إنجاح هذا الاقتراح انحياز بني عبد شمس وبني نوفل لبقية قريش ضد الرسول ﷺ غير أن العناية الإلهية قد أنقذت الرسول ﷺ من هذه المؤامرة التي استهدفت حياته فخرج يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٣ أيلول سنة ٦٢٢م خرج

رسول الله ﷺ والمشركون يحيطون بمنزله وأخذ صاحبه أبا بكر رضي الله عنه واتجها إلى جنوب مكة وليس إلى شمالها حيث الطريق إلى يثرب في خطة هدفها تضليل قريش ووصلا إلى غار جبل ثور وبقيا فيه ثلاثة أيام واطمأنا على هدوء الأوضاع ثم ارتحلا إلى يثرب برفقة دليلهما عبد الله بن أريقط ، وارتحل معهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر . ووصل الموكب يثرب يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة وهي السنة الأولى من الهجرة ، الموافق ٢٣ أيلول ٦٢٢م ونزل رسول الله ﷺ بقباء وبذلك فشلت مؤامرة زعماء قريش ، ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[٥٩] .

وربما كانت العصبية قد أعاقت نشر الدعوة الإسلامية لدى القبائل الأخرى أو ساعدت في حركة الأنبياء الكذابين . فهذا هو أحد بني حنيفة يؤيد ما ذهبنا إليه . فهو يخاطب مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة في حياة الرسول الأعظم ﷺ والذي نعته عليه السلام - بالكذاب - يقول ذلك الحنفي لمسيلمة : « أعلم أنك كذاب ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر » ، فمسيلمة من ربيعة والرسول ﷺ من مضر. فهم يقبلون مسيلمة مع علمهم بكذبه وادعائه ، لأنه من ربيعة ، ويجانبون رسول الله ﷺ مع علمهم بصدقه وأمانته لأنه فقط من مضر[٦٠] .

ناهيك عن أن الرسالة التي بعث بها مسيلمة الكذاب إلى الرسول ﷺ تفوح منها رائحة العصبية التي تزكم الأنوف ، فقد حسد قريشاً أن يكون لها هذا السمو في الإسلام فأراد أن يقاسمها مجدها بالإسلام وحكمها للعرب فكتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد : فلنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوماً يعتدون . فكتب إليه رسول الله ﷺ : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »[٦١] .

كذلك فقد كادت العصبية تعصف بالكيان الجديد المبارك الذي أقامه الرسول الأعظم ﷺ في المدينة على أسس : أخوة الإسلام ، والمساواة ، ونبذ الموروثات الجاهلية

وعلى رأسها العصبية القبلية فيروى : أن شاساً بن قيس ، وهو أحد شيوخ اليهود العظيمي الكفر مرّ بمجلس للأنصار فرأى منه الأوس والخزرج وهم على أحسن ما يكونون من المودة والآخاء . فساءه ذلك وأمر شاباً يهودياً كان معه أن يعمد إليهم فيجلس معهم ثم ليذكرهم بيوم بعاث وما كان قبله وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار : ففعل . فتكلم القوم عندئذ وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاتلا ثم قال أحدهما للآخر إن شئتم رددناها الآن جذعة ، أي العودة إلى الحرب ثانية . وكادت تنشب الحرب . فسمع رسول الله ﷺ بذلك فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين الله الله ، ابدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم . وعندئذ أدرك الأوس والخزرج أنها كانت زلة وسقطة من سقطات الشيطان فندموا على ذلك ، وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع الرسول ﷺ (٦٢) .

ولم تنفك العصبية بقيمها المتخلفة المعارضة للوحدة العقائدية الجديدة للأمة : كانت ترفع رأسها في بعض المواقف مهددة بتدمير البنيان الذي بناه الرسول ﷺ طيلة ثلاث وعشرين سنة من الكفاح والصبر والجلد في إرساء وتدعيم بناء أمة واحدة واضحة المعالم موطدة الدعائم والأركان ففي غزوة بني المصطلق ، التي وقعت في شعبان سنة ست من الهجرة على أرجح الأقوال ، خرج أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال له جهجاه الغفاري على فرس لرسول الله ﷺ يسقيها الماء فوجد على الماء فتية من الأنصار ، فتنازعوا واقتتلوا ، فصاح سنان بن وبر الجهني وهو من الأنصار : يا معشر الأنصار . وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين . فقال رسول الله ﷺ ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم . دعوها فإنها فتنة . ولما بلغ ذلك عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في المدينة قال : هذا ما جزونا به آويناهم ثم هم يقاتلوننا ، حتى أن حساناً بن ثابت وهو شاعر الرسول ﷺ قال في ذلك شعراً عصبية لقومه مما أغضب رسول الله ﷺ فقال يا حسان نفست عليّ إسلام قومي . وجيء بحسان إلى الرسول ﷺ ثلاث مرات وهو

يعرض عنه وأخيراً صفح عنه النبي ﷺ[٦٣] . ترى ماذا يحدث لو لم يكن الرسول ﷺ حاضراً في ذلك الموقف ؟ إن ما حدث لو أنه تطور أكثر لأدى ذلك إلى هدم وحدة الأمة الفتية الجديدة التي بناها الإسلام .

وفي هذه الغزوة ذاتها ، غزوة بني المصطلق ، وقع حادث الأفك . فتحدث به عبدالله بن أبي سلول وأشاعه وتولى كبره . فأراد أسيد بن مضير رضي الله عنه قتله وكان أسيد سيد الأوس . فأخذت سعد بن عبادة - سيد الخزرج وهي قبيلة عبد الله بن أبي مسلول العصبية القبلية وحمية الجاهلية . فجرى بينهما كلام تثاور له الحيان حتى خفضهم رسول الله ﷺ حتى سكتوا وسكت[٦٤] .

لقد كانت العصبية القبلية قنبلة موقوتة يخشى من انفجارها في أية لحظة . ولذلك فقد كان الرسول ﷺ بما وهبه الله من الحكمة والفطنة يتعامل معها بما لا يؤدي إلى اثارتها واستفزازها . فبعد سماع الرسول ﷺ بحديث عبد الله بن أبي سلول وخوضه في موضوع الافك ، كان جالساً عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ : مُرْ عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . وأصبح قوم عبد الله بن أبي سلول بعد حادث الافك إذا أحدث الحدث عبد الله هم يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه حتى قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه حين بلغه ذلك من أمرهم : كيف ترى يا عمر : أما والله لو قتلته يوم قلت اقتله لأرْعِدَتْ له أُنُفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته[٦٥] . وفي قول رسول الله ﷺ ما يعني أن الوقت كفيل بتخفيف حُمّى هذه العصبية في المجتمع المسلم .

هذه نماذج سيئة لإفرازات العصبية القبلية وما كان يمكن أن تصيب به الرسول الأعظم ﷺ والمجتمع الجديد الذي بناه في المدينة بأفدح الأضرار . ومع ذلك فأن ما وفرته للرسول ﷺ من أسباب المنعة والحماية أكثر فائدة ومنفعة من الأضرار الناجمة عن إفرازاتها السيئة لأن الرسول ﷺ كان يحتوي وعلى الفور أية محاولة لها لبعث الحياة في تراثها المظلم الغابر القائم على مبدأ « انصر أخاك ظالماً ومظلوماً » .

وننتقل الآن إلى عرف آخر من الأعراف القبلية لنرى مدى أثره في الموقف من الدعوة الإسلامية سلباً أو ايجاباً . وذلك العرف هو الحلف .

٢- الحلف :

والحلف وجمعها الأحلاف مظهر آخر من مظاهر النمط الاجتماعي والسياسي للحياة العربية قبل الإسلام .

والحِلف : بالكسر : العهد يكون بين القوم . وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا وفي حديث أنس رضي الله عنه : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أي آخى بينهم . وفي رواية حالف بين قريش والأنصار أي آخى بينهم لأنه لا حلف في الإسلام . وقال ابن الأثير : أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق[٦٦] .

ومن هذا يتبين أن الحلف يعني التعاقد والتعاهد بين المتحالفين على النصرة والتساعد والتعاضد وهو المعنى الذي نتعامل به في هذا البحث .

وفي العصر الجاهلي ظهر نوعان من الحلف[٦٧] :

الأول : وهو ما قام على الفتن والقتال بين القبائل وغارات بعضها على البعض الآخر فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام .

والثاني : ما كان العمل به على نصرة المظلوم وصلة الأرحام كحلف الفضول وحلف المطيبين وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ وأي ما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة . يريد المعاقدة والتناصر والتعاهد على الخير ونصرة الحق .

والحليف : المحالف : يقال حالف فلان فلاناً فهو حليفه وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالإيمان أن يكون أمرهما واحداً بالوفاء[٦٨] .

والأحلاف في قريش خمسة بطون : عبد الدار ، وجمح ، وسهم ، ومخزوم ، وعدي بن كعب . وقد تحالفوا عندما أراد بنو عبد مناف أخذ ما في يد بني عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية . وقد أخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة وهم : أسد ، وزهرة ، وتيم ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً لتحالفهم فسموا " المطيبين"[٦٩] .

أما في الإسلام :

فمن أوائل من عقد تحالفاً في الإسلام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقد ذكر أن أبا موسى قدم مكة فحالف سعيد بن العاص بن أمية أبا أحيحة . وكان قدومه في جماعة من الأشعريين ، في وقت مبكر مثل الهجرة إلى الحبشة ، أي قبل منتصف السنة الخامسة من النبوة ، ثم أسلم ، ويقال بأنه هاجر مع من هاجر إلى أرض الحبشة وقيل عاد إلى أرض قومه يبشرهم بالإسلام[٧٠] .

وطبقاً للأعراف القبلية السائدة فقد أصبح أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بتحالفه مع سعيد بن العاص وفي رواية ابن هشام مع عتبة بن ربيعة في مكة فقد أصبح آمناً على دمه وماله فهو في حماية حليفه سعيد أو عتبة وكلاهما من وجهاء مكة وزعمائها[٧١] .

كان التحالف حتى ما كان منه في الجاهلية مفيداً ونافعاً للمسلمين في عصر الرسالة . لأن العرب يظلون عادة أوفياء لحلفائهم طالما كان الحلف قائماً ولم ينقضه أحد الحليفين .

لذلك فقد أفاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند دخوله في الإسلام من ذلك الحلف القديم الذي كان يضم بني عدي بن كعب (بطن عمر رضي الله عنه) وبني سهم ابن وائل . فقد روى البخاري[٧٢] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه

بينما كان عمر رضي الله عنه خائفاً في داره إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، وكان ما يزال على دين قومه ، وهو من بني سهم حلفاء بني عدي بن كعب في الجاهلية. فقال العاص بن وائل لعمر رضي الله عنه : مالك ؟ قال عمر : زعم قومك أنهم سيقتلونني أن أسلمت . قال العاص : لا سبيل إليك . يقول عمر - بعد أن قالها أمنت. فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي (لكثرتهم) فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : هذا ابن الخطاب الذي قد صبأ . قال : لا سبيل إليه . فَكَرّ الناس وفي رواية ابن هشام والله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه .

وفي المدينة : فما أن قدمها رسول الله ﷺ بعد هجرته الميمونة حتى عمل على إصدار صحيفة[٧٣] بين المسلمين ، من المهاجرين من قريش والأنصار من أهل يثرب ، كما وادع اليهود في هذه الصحيفة وهو ما يدخل في معنى الحلف والتعاهد . وإذا كان ما يتعلق بالمسلمين من الشطر الأول من الصحيفة لا يهمنا لأنه يدخل ضمن تنظيم الجماعة الإسلامية الواحدة فإن ما يهمنا هنا هو الشطر الثاني من الصحيفة المتعلق بموادعة اليهود ومحالفتهم من قبل الرسول ﷺ .

ذلك أن في هذه الموادعة اعترف اليهود بحاكمية الرسول ﷺ للمدينة : « وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فأن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ »[٧٤] وهذه خطوة مهمة على طريق بناء الدولة الجديدة، وتغير نوعي عميق في حياة الرسول الأعظم ﷺ والمسلمين إذ بعد أن كانوا مستضعفين في مكة يخافون أن يتخطفهم الناس تحولوا إلى كيان الكلمة العليا النافذة فيه إلى قائدهم ونبيهم الرسول الأعظم ﷺ .

ولما كانت قريش هي العدو اللدود للدعوة وقائدها عليه السلام لذلك عمل الرسول ﷺ في هذه الصحيفة على حرمان مكة من إمكانية الحصول على أي تعاون مع اليهود أو مشركي يثرب وبذلك عزل مكة وأصبح الأستفراد بها في أولويات الرسول ﷺ ومخططاته المستقبلية : « وأن لا تجار قريش ولا من نصرها »[٧٥] وكذلك فقد جعلت

الصحيفة مهمة الحفاظ على أمن المدينة وحمايتها من أي عدوان خارجي مسئولية الجميع المسلمين واليهود : « ... وأن بينهم النصر على من دهم يثرب »[٧٦] .

لقد كان رسول الله ﷺ يدرك أن المعركة قادمة مع مكة ، وبالتالي فأنه ينبغي عليه أن يجردها من كل ما من شأنه أن يبقي على قوتها ، ولذلك لم تتناول الصحيفة بالمنع عدم إجارة قريش أو من نصر قريش فقط وإنما منعة أية إجارة لمال يعود لقريش[٧٧] . وإذا كانت الأحداث اللاحقة قد أثبتت عدم تقيد اليهود ، بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، بالمبادئ والبنود التي تضمنتها الصحيفة والتي اعترفوا بها طائعين من دون إكراه فقد حققت الأمن للمدينة ، وحمتها من اضطرابات محتملة لو تم التعاون بين اليهود وقريش كما أنها جعلت اليهود لا يجازفون بنقضها بالتعاون مع قريش إلا في غزوة الأحزاب بعد أن سولت لبني قريظة نفوسهم المملوءة بالحقد على الإسلام ونبيه عليه السلام وصورت لهم أحلامهم المزيفة بأن الأحزاب بما جمعوه من رجال وسلاح سوف يستأصلون شأفة الإسلام والمسلمين في المدينة ولذلك سارعوا للتضامن مع الأحزاب بل أنهم كانوا المحرضين على غزو المدينة[٧٨] .

إن هذه النشاطات التي قام بها الرسول ﷺ في المدينة منذ مقدمه إليها جعلته يتفرغ لمواجهة العدو الأكبر قريش .

أخذ رسول الله ﷺ يوسع من دائرة تحالفاته تلك مع القبائل الواقعة على طريق القوافل الرئيسي بين مكة والشام والذي يعد الشريان الحيوي لامداد مكة بالحياة .

فقد عاد رسول الله ﷺ تحالفاً مع قبيلة جهينة ، وكانت مساكنها على ثلاث مراحل من المدينة .

فيذكر ابن كثير أنه لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة جاءته جهينة فقالوا أنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فأسلموا[٧٩] .

وبذلك كان التحالف أو التعاهد الذي يعقده رسول الله ﷺ مع القبائل يتضمن في

مراميه البعيدة دخول تلك القبائل في الإسلام ، وإن كانت مقاصده القريبة عزل مكة وتجريدها من أي سلاح يتحقق لها عن طريق التعاون والتحالف مع بقية القبائل العربية. ولذلك نجد أن تحالفاته وتعهداته تركزت مع القبائل الواقعة على الطريق التجاري (مكة - الشام) لما لذلك الحياد من أثر حيوي على طرفي النزاع المدينة ومكة في المستقبل .

وفي غزوة الأبواء أو ودان سنة ٢ هـ / آب /٦٢٣م عقد رسول الله ﷺ حلفاً مع عمرو بن مخشي الضمري ، وكان سيد بني ضمرة . وهذا التحالف يأخذ بعداً آخر فهو لم يكن تحالفاً فردياً بين رجلين هما الرسول ﷺ وعمرو ، وإنما هو تحالف بين كتلتين ، المسلمون بقيادة الرسول الأعظم ﷺ وبنو ضمرة القبيلة بقيادة عمرو بن مخشي ، وقد كان هذا التحالف مفيداً للمسلمين لأنه نص على ما يلي : « أن لا يقف بنو ضمرة موقفاً معادياً لدعوة الإسلام وفي مقابل ذلك فإن رسول الله ﷺ أمنهم على أموالهم وأنفسهم . وفي حالة مهاجمتهم من قبل أي عدو فإن المسلمين ملزمون بنصرتهم ، إلا أن يحاربوا دين الله . وفي حالة دعوة الرسول ﷺ لبني ضمرة لنصرته فعليهم المسارعة في تقديم العون والنصرة له »[٨٠] .

لقد ضمن رسول الله ﷺ ليس فقط عدم معاداة بني ضمرة للإسلام ممثلاً بحكومة المدينة وإنما ضمن مناصرتها له أيضاً في حالة دعوته لها لدرء أي خطر أو عدوان على المسلمين . وهذا مما يضعف موقف قريش .

وفي غزوة ذي العشيرة في جمادي الأولى - وجمادي الآخرة من سنة ٢ هـ ، تشرين الثاني - وكانون الأول سنة ٦٢٣م تحالف رسول الله ﷺ مع بني مدلج ، فبدأ بذلك الطوق يضيق على عنق قريش . وكان بنو مدلج حلفاء بني ضمرة ، وهم حلفاء الرسول ﷺ[٨١] .

ولما وصلت رسالة أبي سفيان إلى مكة بنجاة القافلة همّ جيش مكة بالرجوع غير أن أبا جهل أصر على التوجه إلى بدر . وكان الأخنس بن شريق حليفاً لبني زهرة ورئيسا

لهم فراجع هو وبنو زهرة وعددهم ثلاثمائة رجل ولم يشهد بدراً زهري واحد[٨٢] . وهذا ما يعد في السياقات العسكرية نصراً للمسلمين مقلل من سواد العدو وعدده .

وعندما أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي على رسول الله ﷺ وكان معسكراً في حمراء الأسد بعد معركة أحد خشية عودة المشركين إلى المدينة ومهاجمتها ، أمره رسول الله ﷺ أن يلحق بأبي سفيان ويخذله ، أي يثبط همته ويثنيه عن العودة بغرض مهاجمة المدينة . وكان معبد هذا ناصحاً للرسول ﷺ وذلك لما كان بين خزاعة وبني هاشم من الحلف في الجاهلية . ولما وصل معبد أبا سفيان وجده يتهيأ للعودة لمهاجمة المدينة. فقال له معبد : ويحك : إن محمداً ﷺ قد جمع لك جيشاً كبيراً انضم إليه من لم يشترك في أحد معلنين الندم وهم على أحر من الجمر لملاقاتكم . فقال أبو سفيان : ويحك ما تقول ؟ قال ذلك الذي رأيته وربما لن يمر وقت حتى ترى خيله قد أقبلت . فما كان من أبي سفيان إلا أن طلب الرحيل والتوجه إلى مكة . وبذلك نجت المدينة من هجوم محتم يقوم به أبو سفيان مستغلاً حالة الضعف التي أصابت المسلمين جراء معركة أحد[٨٣] .

وهكذا ندرك مدى أهمية هذا الحلف للدعوة الإسلامية حيث دفع خطراً جدياً عن قاعدتها (المدينة) وخطر تعرضها لمجزرة دموية كان يمكن أن يقوم بها المشركون من قريش ضد المسلمين فيها . ذلك أن المشركين رغم تحقيقهم نصراً نسبياً على المسلمين في أحد فقد شعروا بأن بقاء الرسول ﷺ على قيد الحياة يعني عدم تحقيقهم أي نصر . ولهذا فكروا بالعودة إلى المدينة لاستئصال شأفة المسلمين جميعاً وعلى رأسهم قائدهم ونبيهم محمد ﷺ . ولكن الله تعالى أنقذ المدينة وأنقذ المسلمين بهذا الحلف القديم ، حلف خزاعة وبني هاشم في الجاهلية .

وفي سنة ٥ هـ بلغ النبي ﷺ أن القبائل حول دومة الجندل ، قريباً من الشام ، تقطع الطريق وتنهب ما يمر بها وأنها حشدت جمعاً كبيراً لمهاجمة المدينة . فخرج النبي ﷺ في ألف من أصحابه فهاجمهم وهم غارون ، فأصاب من أصاب منهم وهرب من هرب وأقام

رسول الله ﷺ أياماً بساحتهم وبث السرايا وفرّق الجيوش . ثم رجع إلى المدينة .

وفي تلك الغزوة وادع رسول الله ﷺ عيينة بن حصن[٨٤] .

وبهذه الخطط الحكيمة نجح الرسول ﷺ في بسط الأمن ، وتحقيق السلام والسيطرة على الموقف ، وتحويل مسار الأحداث لصالح المسلمين ، وتخفيف المتاعب الداخلية والخارجية التي كان يعاني منها المسلمون ، فقد سكت المنافقون ، وتم إجلاء قبيلة بني قينقاع ، أقوى القبائل اليهودية الثلاثة من المدينة وأعقبتها قبيلة بني النضير ، وبقيت قبيلة بني قريظة فقط تتظاهر بإيفاء حق الجوار واحترام العهود والمواثيق ، وهدأت تحركات الأعراب ، وحادت قريش عن مهاجمة المسلمين ، ووجد المسلمون الفرصة سانحة لنشر الإسلام وتبليغ رسالته[٨٥] .

وفي ذي القعدة سنة ٦ هـ كان صلح الحديبية . وفيه أبرم رسول الله ﷺ مع سهيل ابن عمرو الخزاعي هذا الصلح . وقد أعطى هذا الصلح للرسول ﷺ ولقريش الحق في محالفة أية قبيلة ترغب في محالفة أي من الفريقين . فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكانت خزاعة حليف بني هاشم منذ عهد عبد المطلب . وكان دخولها في عهد رسول الله ﷺ هذا إنما هو توكيد لذلك الحلف القديم مع عبد المطلب . أما قريش فدخلت في حلف مع قبيلة بني بكر[٨٦] .

وهذا التحالف مع خزاعة جعله الله تعالى السبب المباشر في فتح مكة سنة ٨ هـ عندما خرقت قريش قواعد الحياد خلال القتال الذي اندلع بين بكر حليفتها ، وبين خزاعة حليفة الرسول ﷺ . فقدمت الرجال والمال لبني بكر وانكشف الأمر لخزاعة فذهب ممثلها عمرو بن سالم إلى المدينة يشكي للنبي ﷺ فعلة قريش ويطلب منه العون ضد قريش وحليفتها بني بكر . فأجابه الرسول ﷺ : نصرت يا عمرو بن سالم . ثم جهز المسلمين واتجه نحو مكة وسط أجواء من التعتيم على الوجهة التي يقصدها حتى وصل مكة وتم له فتحها وبذلك قضي على العاصمة الدينية للوثنية العربية في رمضان سنة ٨ هـ وذلك هو الفتح العظيم[٨٧] .

وهناك عرف آخر من الأعراف القبلية التي أفاد منها المسلمون في عصر الرسالة وهو: الجوار .

٣- الجوار :

والجوار هو النمط الاجتماعي - السياسي الثالث في سلسلة الأعراف القبلية التي كانت سائدة عند العرب عندما صبحهم الإسلام . وكان لهذا العرف أثره في الدعوة الإسلامية .

والجوار لغة :

المجاورة . والجار الذي يجاورك . وجاور الرجل مجاورة وجِواراً وجُواراً . والكسر أفصح .

وجاور بني فلان وفيهم مجاورة وجواراً تحرّم بجوارهم . والاسم الجوار والجُوار[٨٨] .

وتتعدد المعاني لمشتقات الجار في العربية : فالجار الشريك في العقار ، والجار المقاسم والجار الحليف والجار الناصر . وهذان المعنيان الأخيران هما اللذان اعتمدناهما في معالجة موضوع الجوار[٨٩] . وفي هذا المعنى أيضاً قالوا : المرأة جارة زوجها وصار زوجها جارها لأنه يجيرها ويمنعها ويحميها[٩٠] . واستجاره : سأله أن أحد من المشركين استجارك فأجره . . . »[٩١] فأجره أي أمنه ثم أبلغه مأمنه لئلا يصاب بسوء[٩٢] . والجار والمجير هو الذي يمنعك وأجاره الله من العذاب : أنقذه وجارك : المستجير أي الذي يطلب حمايتك له[٩٣] .

فالجار إذن هو الذي يحمي شخصاً يستجير به وفي معناه المجير أيضاً .

أما المستجير فهو الشخص الذي يطلب الحماية من أحد والمنعة منه . وهذان المعنيان هما اللذان نعتمدهما في معالجة موضوع الجوار في عصر الرسالة .

فعندما اشتد أذى قريش لمن دخل في الإسلام أمر النبي ﷺ من شاء من المسلمين بالذهاب إلى الحبشة . فهاجر إليها عدد من المسلمين في رجب من السنة الخامسة من بعثته ﷺ . وهم اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، رئيسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه السيدة رقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ . غير أن أنباء قد وصلت هؤلاء المسلمين في الحبشة بأن قريشاً قد أسلمت . فقرروا العودة فلما اقتربوا من مكة تبين لهم عدم صدق ما سمعوه . وأن قريشاً مازالت على وثنيتها وعلى اضطهادها للمسلمين. لذلك صار أمر المسلمين العائدين صعباً لذا نرى منهم من فضل العودة إلى الحبشة ، ومنهم من قرر دخول مكة ولكن بجوار أحد أو مستخفياً[٩٤] .

فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار أبي أصيحة سعيد بن العاص بن أمية فأمن بذلك . ودخل أبو سلمة بن عبد الأسد بجوار أبي طالب وكان خاله . ودخل أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بجوار أبيه . ودخل عثمان بن مضعون بجوار الوليد بن المغيرة .

ويمكننا أن ندرك أهمية الجوار لهؤلاء العائدين . فقد وفر لهم الأمن والحماية . وعندما رد عثمان بن مضعون جوار الوليد بن المغيرة تعرض للضرب حتى أوذيت عينه في مجلس ضم الشاعر لبيد بن ربيعة والذي قال قصيدة ذكر في أحد أبياتها النعيم فقال : وكل نعيم لا محالة زائل : فقال له عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فاستنكر ذلك لبيد . وقال يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا . فقاموا على عثمان ولطموا عينه فآذوها . فضحك الوليد بن المغيرة شماتة بعثمان لأنه رفض جواره[٩٥] .

وفي جوار أبي طالب لأبي سلمة ما أثار احتجاج قريش . فمشى زعماؤها إلى أبي طالب . وقالوا له : لقد منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إنه استجار بي وهو ابن أختي . وإن لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي[٩٦] .

وهذا يرينا كيف تتلاحم العصبية والجوار في وقت واحد . فأبو سلمة ممتنع بأبي طالب لأنه خاله أولاً ولأنه دخل في جواره ثانياً .

وعندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الإسلام لم يتعرض له أحد بالضرب كبقية الذين يعلنون دخولهم في الإسلام لعدم معرفة أهل مكة بإسلامه . وقد أسر عمر رضي الله عنه قضية إسلامه إلى أحد الوثنيين المعروفين بإفشاء الأسرار وإذاعتها ، لأن عمراً رضي الله عنه كان يريد أن يضرب كبقية الذين يعلنون دخولهم في الإسلام . فوقف ذلك الوثني في الحجر والناس هناك جالسون فصاح بأعلى صوته : أن ابن الخطاب قد صبأ . فانهال الناس على عمر رضي الله عنه ضرباً وهو يضربهم حتى جاءهم خال عمر رضي الله عنه فقال : يا قوم أني قد أجرت ابن أختي فلا يمسه أحد فانكشفوا عن عمر رضي الله عنه[٩٧] .

على أن عمر رضي الله عنه عز عليه أن يضرب بقية المسلمين وهو لا يضرب . فلما جلس الناس عنه جاء خاله وقال له : جوارك رد عليك الناس يُضْرَبون ولا أضرب[٩٨] .

ويبدو أن رد عمر لجوار خاله أفقده حماية خاله فربما تجمع الناس عليه بعد أن ذهب إلى بيته وأرادوا النيل منه وعندئذ جاءه العاص بن وائل السهمي فمنعهم من عمر لما كان من الحلف الذي كان بين عدي بن كعب رهط عمر رضي الله عنه وبني سهم رهط العاص بن وائل في الجاهلية ، كما سبق الحديث عنه في موضوع الحلف .

وعندما اشتد أذى المشركين لأبي بكر رضي الله عنه ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له رسول الله ﷺ فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً (والجهة المقصودة الحبشة) فسار يوماً أو يومين حتى لقيه ابن الدُغُنّة ، وكان يومها سيد الأحابيش . فسأل ابن الدغنة أبا بكر رضي الله عنه عن وجهته فأخبره الخبر وقال : أخرجني قومي وآذوني . قال ابن الدغنة . ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم . أرجع فأنت في جواري . فرجع أبو بكر رضي الله عنه حتى إذا دخلا مكة وقف ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا

بخير . وتقول عائشة رضي الله عنها باعتبارها راوية الخبر : فكفوا عندئذ عن إيذاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٩٩] .

وبقي أبو بكر في جوار ابن الدغنة آمنا فترة . وكان لأبي بكر رضي الله عنه مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً : إذا قرأ القرآن استبكى . تقوم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه فيقف الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته . وعندئذ مشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له : إنك لم تجره هذا الرجل لتؤذينا ، إنه إذا صلى وقرأ القرآن الذي جاء به محمد ﷺ بكى فنخاف أن يفتن به صبياننا ونساؤنا وضعفتنا فمره أن يدخل في بيته[١٠٠] ومشى ابن الدغنة إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال له : أنا لم أجرك لتؤذي قومك فأدخل في بيتك فاصنع ما شئت فيه . قال له الصديق رضي الله عنه أوَ أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد عليّ جواري فرد عليه أبو بكر رضي الله عنه جواره فأعلن ذلك ابن الدغنة على رؤوس الأشهاد : أن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم[١٠١] .

وبعد وفاة أبي طالب اشتد أذى المشركين للرسول ﷺ فأراد عليه الصلاة والسلام أن يذهب إلى الطائف لعله يجد فيها مأمناً له ولدعوته يستطيع منها أن يبشر بدينه ، ويتصل بالناس من دون أن يتعرض للأذى والأضطهاد . فذهب إلى الطائف ولكن أهلها قابلوه بالاعراض والصدود ، بل وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يضربونه بالحجارة حتى أدميت قدماه . فعاد عليه الصلاة والسلام ولكنه لم يستطع أن يدخل مكة إلا بجوار . فبعث إلى المطعم بن عدي بن نوفل ، وهو من بني عبد مناف ، ومن وجهاء مكة يطلب منه أن يجيره في دخول مكة . قال المطعم : نعم فليدخل وأخبر الرسول ﷺ بذلك . أما المطعم فلبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد في الصباح . فلما رآه أبو جهل قال : أمجير أم متابع ؟ قال : بل مجير . قال أبو جهل : قد أجرنا من أجرت . فدخل الرسول ﷺ مكة وأقام بها بجوار المطعم بن عدي[١٠٢] . وهكذا حمى رسول الله ﷺ نفسه بالجوار ، ومن هنا جاء اعتبارنا للجوار أنه كان قد وضع في مصلحة الدعوة

الإسلامية في تلك المرحلة من حياتها .

ولما علمت قريش بمبايعة وفد الأنصار للرسول الأعظم ﷺ في بيعة العقبة الثانية المباركة في السنة الثالثة عشرة من البعثة الشريفة / حزيران /٦٢٢م للهجرة إلى يثرب. خرجوا في طلب وفد الأنصار . فأدركوا سعد بن عبادة فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه ثم أدخلوه مكة يضربونه ويحبذونه بجمته ، وظلوا يضربونه ويلطمونه ويسحبونه حتى جاء رجل منهم فقال لسعد ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال سعد بلى : كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل تِجارَهُ وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن أمية بن عبد شمس . قال : ويحك فاهتف باسم الرجلين قال سعد ففعلت . وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة . فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح وأنه ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جواراً . قالا من هو ؟ قال : سعد بن عبادة قالا : صدق والله . إنه كان ليجير تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم وانطلق[١٠٣] .

وهكذا أفاد سعد بن عبادة من هذا العرف وأنقذ به من أيدي المشركين فمن يدري ماذا كان سيحل به لولا جوار هذين الرجلين القرشيين .

وقبل ابرام صلح الحديبية بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه سفيراً له إلى قريش لمفاوضتها بشأن دخول المسلمين مكة معتمرين . وكانت سفارة عثمان رضي الله عنه تنطوي على كثير من المخاطر التي تهدد حياته . غير أنه ما أن مر بقريش في منطقة بلدح حتى سألوه عن وجهته فأخبرهم الخبر . فقالوا له سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك فقام إليه أبان بن سعيد بن العاص ، وهو من بني عبد شمس ، رهط عثمان رضي الله عنه فرحب به وأسرج فرسه وحمل عثمان رضي الله عنه على الفرس وأجاره حتى أدخله مكة . فبلغ الرسالة إلى زعماء مكة[١٠٤] .

وهنا تجتمع العصبية والجوار في موقف أبان بن سعيد بن العاص . بل أن اختيار الرسول الأعظم ﷺ لعثمان رضي الله عنه لهذه السفارة قائم على قوة عصبية عثمان

رضي الله عنه في مكة .

فقد كان الرسول ﷺ قد اختار في البداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذه المهمة غير أن عمر رضي الله عنه اعتذر لعدم وجود بني عدي بن كعب ، وهم رهطه ، في مكة لغرض حمايته[١٠٥] .

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الأجارة تتوقف على قوة عصبية المجير ، بحيث أن المجير لديه من الرجال والعصبية ما يستطيع به حماية مجيره . وقد ألغى رسول الله ﷺ هذا وجعل المسلمين يداً واحدة يجير عليهم أدناهم ، أي بصرف النظر عن قوة عصبية المسلم المجير . فقد يجير على المسلمين أفقرهم مالاً ورجالاً أو حتى مولى من مواليهم . بل وحتى النساء . في حين كان الجوار في الجاهلية يتطلب قوة من المجير بحيث يستطيع حماية المستجير به عندما يتطلب الأمر استخدام القوة[١٠٦] .

النساء تجير :

على أن الجوار في المجتمع العربي لم يكن مقتصراً على الرجال فقط . وإنما كان للنساء أن يِجُرْنَ أيضاً .

وينبغي أن نتذكر بأن المجير والمجيرة ينبغي أن يكونا من قبائل أو بطون قوية يمكن أن تحمي من استجار بها بالقوة إذا تطلب الأمر ذلك . ولهذا فليس كل رجل قادر على النهوض بالجوار وليست كل امرأة كذلك .

فقد كان أبو العاص بن الربيع ، زوج زينب بنت الرسول ﷺ في تجارة له وكان ما يزال على شركه . وقد فرّق الرسول ﷺ بينه وبين زينب رضي الله عنه تفريق عقيدة وليس تفريق طلاق .

وبينما كان أبو العاص عائداً في تجارته بين مكة والشام هوجمت قافلته من قبل سرية بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه وأخذ المسلمون ما فيها وأفلتهم أبو العاص

في حين أسر أناس ممن كانوا ضمن القافلة . ثم أقبل أبو العاص ليلاً على زينب في المدينة ودخل عليها فاستجار بها . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح حضرت زينب إلى المسجد . فلما كبّر رسول الله ﷺ وكبّر الناس معه صرخت زينب رضي الله عنها أيها الناس أني قد أجرت أبا العاص بن الربيع[١٠٧] . وهكذا أصبح أبو العاص آمنا في جوار زينب رضي الله عنها وكان ذلك مدعاة إلى إسلام أبي العاص وعودته لزوجته .

وكمثل على إجارة النساء أيضاً يروى أنه عندما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً في عام الفتح سنة ٨ هـ جاء بيت أم هانيء (رضي) ابنة أبي طالب ابنة عمه وأخت الإمام علي رضي الله عنه فاغتسل في بيتها وصلى ثمان ركعات صلاة الفتح ، وأجارت أم هانئ حموين من أحمائها ، فقال لها رسول الله ﷺ : أجرنا من أجرت يا أم هانيء . وكان الإمام علي رضي الله عنه أراد قتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها . ثم سألت النبي ﷺ الجوار لهما فأجارهما بجوار أم هانيء[١٠٨] .

الخاتمة :

ومن خلال عرض الموضوع تبين لنا : أن الأعراف القبلية التي كانت سائدة لدى عرب الجاهلية كان لها ، على العموم ، أثر إيجابي في الدعوة الإسلامية :

١- فقد كانت للعصبية القبلية أهميتها في توفير الحماية لصاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام . وهذا ما أعانه على تبليغ دعوته . وإذا كان للعصبية بعض السلبيات التي ظهرت في بعض المواقف متقاطعة مع الدعوة الإسلامية ومبادئها فأن الرسول الأعظم ﷺ كان سرعان ما يعالجها ويخمد أنفاسها بما أوتي من حكمة وذكاء وعبقرية .

٢- كذلك فقد كان لبعض التحالفات القبلية في الجاهلية أثرها الإيجابي في مسار الدعوة الإسلامية كحلف خزاعة مع عبد المطلب وتحالف بني عدي بن كعب مع بني

سهم في الجاهلية . فقد كانت خزاعة أقرب إلى الرسول ﷺ من قريش ولهذا سرعان ما دخلت معه في حلف أثر معاهدة الحديبية تجديداً للحلف القديم مع جده عبدالمطلب .

٣- كما أفاد الرسول الأعظم ﷺ وبعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من عُرْف الجوار ، الذي كان سائداً في الحياة العربية قبل الإسلام . فعندما يشتد الخطر وتصبح الحياة مهددة بالموت للرسول ﷺ أو بعض الصحابة كانوا يلتجئون إلى الدخول في جوار بعض الوجهاء والمتنفذين فيأمنون بذلك على أنفسهم .

وأما ما ذكرناه عن إجارة النساء فلم يكن له قيمة فعلية في مسار الدعوة الإسلامية ولكننا ذكرناه لنومىء إلى شيء يوحي بمكانة المرأة العربية عند ظهور الإسلام وفي ظله .

والله ولي التوفيق ،،،

المصادر والمراجع

١- ابن منظور : لسان العرب . اعداد يوسف الخياط ، دار اللسان ، بيروت مادة عصب ، ص ٧٩٢ .

٢- نفسه : لسان العرب : ص ٧٩٢ مادة عصب .

٣- الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد : تهذيب اللغة . تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب (د.ت) ، جـ٢ ، ص ٤٩ .

٤- ابن منظور : لسان العرب ، ص ٧٩٢ .

٥- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري : جمهرة اللغة ، دار صادر ، بيروت ، جـ١ ، ص ٢٩٧ . والآية الكريمة من سورة يوسف : آية /١٤ .

٦- الأزهري : تهذيب اللغة : ٤٦/٢ .

٧- ابن منظور : لسان العرب : ٧٩٢ .

٨- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط٢ (د.ت) ، جـ ٢ ، ص ٥٩٤ .

٩- علي ، جواد : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٥٠ ، جـ١ ، ص٣٦٥ .

١٠- نفسه : ٣٦٥/١ .

١١- أمين ، أحمد : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٦٩ ، ص ٤ .

١٢- ابن الأثير ، عز الدين : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، جـ١ ، ٥٠٥ - ٦٨٤ . وانظر أيضاً عن أيام العرب : ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي : العقد الفريد. دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، الجزء الخامس .

١٣- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق وضبط مصطفى السقا وزميليه : مكتب تحقيق التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ١٦٩/١ .

١٤- قرآن كريم ، سورة الشعراء : آية ٢١٤ .

١٥- نفسه : سورة الحجر : آية ٩٤ .

١٦- ابن هشام : ٣٠١/١ ، الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦١ ، جـ٢ ، ص ٣٢٢ .

١٧- ابن هشام : ٣٠١/١ ، الطبري : ٣٢٨/٢ ، ابن الأثير : الكامل : ٦٣/٢ .

١٨- ابن هشام : ٣٠٢/١ ، الطبري : ٣٢٣/٢ ، ابن الأثير : الكامل : ٦٣/٢ .

١٩- ابن هشام : ٣٠٢/١ ، الطبري : ٣٢٣/٢ .

٢٠- ابن هشام : ٣٠٢/١ ، الطبري : ٣٢٣/٢ ، ابن الأثير : ٦٣/٢ .

٢١- الطبري : ٣٢٤/٢ والآية الكريمة من سورة ص ، آية ٦ .

٢٢- الطبري : ٣٢٤/٢ .

٢٣- ابن هشام : ٣٠٣/١ ، الطبري : ٣٢٦/٢ .

٢٤- ابن هشام : ٣٠٤/١ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر - بيروت (د.ت) : ٢٠٢/١ وانظر : اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح : تاريخ اليعقوبي ، تحقيق عبدالأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١٩٩٣/١ ، جـ١ ، ص ٣٤٥ .

٢٥- ابن هشام : ٣٠٤/١ ، اليعقوبي : ٣٤٥/١ .

٢٦- ابن هشام : ٣٠٥/١ ، الطبري : ٣٢٧/٢ - ٣٢٨ .

٢٧- ابن هشام : ٣٨٨/١ .

٢٨- ابن هشام : ٣٨٨/١ ، اليعقوبي : ٣٥٠/١ .

٢٩- قرآن كريم / سورة هود ، آية ٩١ .

٣٠- ابن هشام : ٣٩١/١ ، الطبري : ٣٣٦/٢ ، ابن الأثير : ٨٧/٢ - ٨٨ .

٣١- ابن هشام : ٤١٢/١ ، ابن الأثير : ٨٨/٢ .

٣٢- ابن هشام : ٤١٣/١ ، ابن سعد : ٢١٠/١ ، الطبري : ٣٤١/٢ .

٣٣- ابن هشام : ٤١٤/١ ، الطبري : ٣٤٢/٢ - ٣٤٣ ، ابن الأثير : ٨٨/٢ .

٣٤- ابن هشام : ٣٠٩/١ - ٣١٤ .

٣٥- ابن هشام : ٣٠٩/١ - ٣١٥ .

٣٦- الطباطبائي، السيد محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن . منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت ، ط٢ ، ١٩٧١ ، جـ ٧ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

٣٧- ابن هشام : ٣١/٢ . يقول الإمام علي رضي الله عنه : « أبي ساد فقيراً وما ساد فقيراً قبله » اليعقوبي : ٣٣٥/١ .

٣٨- ابن هشام : ٢١٦/١ .

٣٩- قرآن كريم ، سورة الأنعام ، آية ٢٦ .

٤٠- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم أشرف على تصحيحه الأستاذ علي شيري - دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر ، ط١ بيروت ، ١٩٨٥ ، جـ٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ . وانظر أيضاً : القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب ، القاهرة (د.ت) ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٠٣ .

٤١- ابن كثير ، تفسير القرآن ، جـ٢ ، ص ٢١٣ .

٤٢- الطبري : ٥٦٩/٧٢ .

٤٣- الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن : ٥٧/٧ .

٤٤- القرطبي ، تفسير القرطبي : ٢٤٠٣/٣ . ويبدو أن ما جاء في تفسير ابن كثير ، وتفسير القرطبي عن تفسير الآية الكريم : وهم ينهون عنه ... مأخوذ عن : الطبري ؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٩٥٤ ، جـ٧ ، ص ١٧٣ .

٤٥- المباركفوري ، صفي الرحمن : الرحيق المختوم . ط٢ (د.ت) مكتبة الناس ، بيروت ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

٤٦- ابن هشام : ٣٥٧/١ ، المباركفوري : الرحيق ، ص ٨٧ .

٤٧- ابن سعد : ٢٠٣/١ .

٤٨- ابن هشام : ٣٣٥/١ .

٤٩- الطبري : ٣٤٨/٢ .

٥٠- ابن هشام : ٣٥٣/١ .

٥١- اليعقوبي : ٣٥٤/١ ، ابن هشام : ٣٠/٢ .

٥٢- اليعقوبي : ٣٥٥/١ ، وانظر : ابن هشام : ٣٠/٢ .

٥٣- ابن هشام : ٣٤/٢ .

٥٤- ابن هشام : ٥٤/٢ - ٥٥ ، ابن سعد : ٢٢٢/١ ، اليعقوبي : ٣٥٨/١ وانظر أيضاً : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، مجلد ٤ ، ص٧٣١ .

٥٥- الطبرسي ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، مجلد ٣ ، ص ص ٧ - ١٠ ، ج ٩ ، ص ١١٧ .

٥٦- المباركفوري : الرحيق : ١٥٠ .

٥٧- نفسه : الرحيق ، ص ١٥٣ والتواريخ التي وردت سجلها المباركفوري نقلاً عن العلامة محمد سليمان المنصورفوري في كتابه رحمة للعالمين : ٩٥/١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ٤٧١/٢ .

٥٨- ابن سعد : ٢٠٣/١ ، ابن هشام : ٩٤/٢ - ٩٥ ، الطبري ، ٣٦٩/٢ - ٣٧٤ ، ابن الأثير: الكامل : ١٠٢/٢ .

٥٩- المباركفوري : الرحيق : ١٥٨ - ١٦٥ والآية الكريمة من سورة الانفال ، آية ٣٠ .

٦٠- الطبري : ٢٨٦/٣ .

٦١- نفس المرجع السابق .

٦٢- ابن هشام : ٥٥٥/١ .

٦٣- الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين : الأغاني . دار احياء التراث العربي / بيروت ١٩٩٤، جـ٣ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ . وانظر : ابن هشام : ٣١٨/٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤.

٦٤- ابن هشام : ٣٢٨/٣ - ٣٢٩ .

٦٥- نفسه : ٣٢١/٣ .

٦٦- ابن منظور : لسان العرب : مجلد ١ ، ص ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

٦٧- نفسه : مجلد ١ ، ص ٦٩٧ .

٦٨- نفسه المرجع السابق .

٦٩- نفس المرجع السابق .

٧٠- ابن عبد البر ، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة (د.ت) : جـ ٣ ، ص ٩٧٩ - ٩٨٠ .

٧١- ابن سعد : ١٥٠/٤ ، ابن هشام : ٣٤٩/١ .

٧٢- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، مطابع الشعب / ١٣٧٨هـ ، جـ٥ ، ص ٦٠ ، ٦١ . وانظر : ابن هشام : ٣٨٧/١ .

٧٣- ابن هشام : ١١٧/٢ .

٧٤- نفسه : ١١٧/٢ - ١١٨ . وانظر : ابن كثير ، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية . دار احياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) . جـ٢ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

٧٥- ابن هشام : ١١٨/٢ ، ابن كثير : السيرة : ٣٢٢/٢ .

٧٦- ابن هشام : ١١٨/٢ ، ابن كثير : السيرة : ٣٢٣/٢ .

٧٧- ابن هشام : ١١٦/٢ ، ابن كثير : السيرة : ٣٢٢/٢ .

٧٨- ابن هشام الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد : كتاب المغازي : تحقيق الدكتور مارسون جونس ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩ ، جـ٢ ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

٧٩- ابن كثير : السيرة : جـ٢ ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

٨٠- الواقدي : المغازي : ١٢/١ ابن هشام : ٢٠٣/٢ .

٨١- ابن كثير : ٣٦٢/٢ .

٨٢- ابن هشام : ٢٣١/١ .

٨٣- اليعقوبي : ٣٦٥/١ .

٨٤- المباركفوري : الرحيق : ص ٢٨٨ .

٨٥- نفسه : ٢٨٨ .

٨٦- ابن هشام : ٣٤٧/٣ ، الطبري : ٦٣٥/٢ ، الواقدي : المغازي ٦١٢/٢ ، ابن الأثير : ٧٧/٢ .

٨٧- ابن هشام : ٤٣/٤ - ٤٤ ، الواقدي : ٧٨٩/٢ - ٧٩١ ، الطبري : ٤٥/٣ .

٨٨- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ٥٣٠ .

٨٩- نفسه ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

٩٠- نفس المرجع السابق .

٩١- قرآن كريم ، سورة التوبة ، آية ٦ .

٩٢- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

٩٣- نفسه ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

٩٤- ابن هشام : ٤٠٨/١ ، الطبري : ٣٤٠/٢ ، ابن الأثير : ٧٧/٢ .

٩٥- ابن هشام ٤٠٨/١ : أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر (د.ت) ، جـ١ ، ص ١٠٣ ، ابن الأثير : ٧٨/٢ .

٩٦- ابن هشام : ٤٠٩/١ .

٩٧- أبو نعيم : حلية الأولياء : ٤١/١ .

٩٨- نفسه : ٤١/١ .

٩٩- ابن هشام : ٤١٠/١ - ٤١١ .

١٠٠- نفس المرجع السابق .

١٠١- نفسه : ٤١٩/١ ، ابن سعد : ٢١٢/١ ، الطبري : ٣٤٧/٢ - ٣٤٨ ، ابن خلدون : التاريخ. القسم ٤ ، ص ٧٢٧ .

١٠٢- ابن هشام : ٦٢/٢ ، ابن سعد : ٢٢٣/١ ، الطبري : ٣٦٧/٢ - ٣٦٨ .

١٠٣- ابن هشام : ٣٤٤/٣ .

١٠٤- نفسه : ٣٤٤/٣ .

١٠٥- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

١٠٦- ابن عبد البر : الاستيعاب : ١٧٠٢/٤ .

١٠٧- ابن هشام : ٥٩/٤ .

١٠٨- نفسه : ٥٩/٤ .